أنثروبولوجيا الأنا في زمن وباء كورونا: سؤال الأنا والآخر

Ego Anthropology in Corona Epidemic Period: the Question of Ego and Other

د. بوستة كريمة [1]*

[1] جامعة ابن خلدون، تيارت. الجزائر، karigustof27@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 22 /02/ 2021 تاريخ القبول: 2021/03/21 تاريخ النشر: 2021/03/31

الملخص

تسعى الدراسة إلى البحث في موضوع –علاقة الأنا بالآخر في زمن وباء كورونا– في ظل ما يعيشه العالم من انتشار واسع للوباء، لقد كانت العلاقة بينهما تقوم على التواصل الاجتماعي المشترك، غير أن فيروس كورونا سيغير المعادلة ليفتح من جديد سؤال علاقة الذات مع الآخر لتصبح جحيما وتصبح أنطولوجيا الأنا تعيش في عزلة تامة من خلال طبيعة الحجر الصحي باعتبار أن هذا الأخير (الحجر الصحي)، يعتبر لحد الآن الحل الوحيد والملائم للتقليل من انتشار الوباء. لكن في المقابل نتج ما يسمى بالتباعد الاجتماعي، أي تفكك النسيج الاجتماعي والعلائقي. ليحل محله التواصل الافتراضي القائم عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: أنثروبولوجيا الأنا، وباء كورونا، الأنا والأخر، شبكات التواصل الاجتماعي.

Summary

The study aims at investigating the subject of relation between ego and the other in the pandemic period. In the light of what the world is experiencing from the widespread of the disease. The relation between them was based on mutual social contact. However; Corona virus will the relationship between the self with the other to become hell and the anthropology of the ego living in complete isolation through the nature of quarantine, given that the latter is so far the only appropriate solution to reduce the spread of the epidemic, but in return; what has been produced It is called social distancing i.e. the social fabric and relationship disintegrate to be replaced by the existing virtual communication via social networks.

Key words: Ego anthropology, Corona Pandemic, Ego and Other, Social Media Network.

* د. بوسنة كريمة: karigustof27@hotmail.fr

مقدمة:

تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة وفهم وتفسير الظواهر الطبيعية والإنسانية، وذلك من خلال معايشة الباحث للواقع الذي حدثت فيه الظاهرة، وتحليل كل ما يقوم به الإنسان من سلوكيات في التعامل والتأقلم مع الظاهرة، مثلا ظاهرة وباء كورونا، أو ما يطلق عليه أيضا مرض العصر كوفيد 19. لقد أصبح العالم اليوم يشهد أزمة عميقة أثرت على جميع مجالات الحياة: على المجال النفسي، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي...إلخ. فالأنثروبولوجيا شأنها في ذلك شأن فروع المعرفة، جميعها ترتبط ارتباطا وثيقا بالفرد والمجتمع، وتدرس الإنسان في كل زمان ومكان ومن جميع النواحي، مثلا لغته، ثقافته، ديانته، علاقة الفرد مع المجتمع، كيفية التعامل مع الطوارئ التي يمكن أن تحدث **(وباء كورونا مثلا)**.

في المقابل يعتبر التواصل من بين الإشكاليات التي اهتمت بدراستها جميع العلوم، وخاصة الأنثروبولوجيا الاجتماعية، قد تحقق مفهوم التواصل كنظرية علمية بداية مع الأمريكي **جورج هربرت ميد** ونظريته عن التفاعل الرمزي. لقد دافع ميد عن فكرة أن التواصل هو المبدأ المؤسس للمجتمع، بمعنى أن التواصل هو تدخل الآخر في تشكيل الذات، أو الهوية وتكوينها، فلا تحقق للوعي خارج التفاعل الاجتماعي.

لكن، منذ ظهور **فيروس كورونا** وإعلانه كأزمة عالمية طالت البشرية برمتها، وتأكيد المنظمة العالمية للصحة بأن العلاج المناسب له وللتقليل من انتشاره هو التباعد الاجتماعي عن طريق الحجر الصحي المنزلي لاحتواء انتقال الفيروس بتحمل الفرد مسؤوليته تجاه صحته وسلامة مجتمعه بإتباع الإجراءات الوقائية. فالظروف التي يشهدها العالم برمته بسبب جائحة كورونا والخوف من انتشارها هي التي أدت إلى عزل الأنا وتقليل تواجدها ضمن الآخر.

لعبت شبكات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك، التويتر، اليوتوب، الإنستغرام)، دورا كبيرا في الحفاظ على الفعل التواصلي بين الذوات في ظل أزمة كورونا، لكن لا ننكر في الوقت نفسه أن طبيعة التواصل الواقعي تختلف عن طبيعة التواصل الافتراضي.

انطلاقا مما سبق ذكره، ومن خلال الدراسة سنحاول التعرف على طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر في ظل وباء كورونا-كوفيد 19 ونوعية التواصل في ظل هذه الظروف، **فكيف أثّر وباء كورونا على علاقة الأنا بالآخر، وماهي حدود هذا التأثير؟ وهل يمكن للتواصل الافتراضي أن يصبح السبيل للمحافظة على النسيج العلائقي الاجتماعي؟**

1. الأنثروبولوجيا والإنسان:

إن الإنسان، هذا الكائن الفريد كان دائما ولا يزال، موضع التأمل والدراسة من طرف كثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء. "فمنذ قديم الزمان، لاحظ الإنسان بصفة عامة الفروق القائمة بين شعوب الجنس البشري، واهتم بمعرفة الطبيعة الإنسانية، وتفسير الاختلافات في الملامح الجسمية، ولون البشرة، والعادات والتقاليد، والديانات والفنون وغير ذلك من مظاهر الحياة. وفي إطار هذا الاهتمام والتساؤل تطورت الدراسات خلال العصور وتبلورت بنشأة فرع جديد من فروع المعرفة اصطلح على تسميته **بالأنثروبولوجيا**.(**فهيم، 1986، ص:13**)

الأنثروبولوجيا هي علم كباقي العلوم: علم التاريخ، علم النفس، علم الاجتماع...إلخ. يجمع الباحث الأنثروبولوجي بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، حيث من المعارف والفروع لكي يصل إلى فهم متكامل لكل ما يخص البشر في الماضي والحاضر ويركز على أوجه الشبه والاختلاف بين الناس.

كتبت الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية الشهيرة **مارجيت ميد (1951-1979)** تقول:« نحن نصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة كما تهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ونعني أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، وبصفة عامة فنحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط وتفسير نتائج دراساتنا في إطار نظريات التطور أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.»(**فهيم، 1986، ص:14**) يشير هذا النص

إلى تصور الأنثروبولوجيين الأمريكيين بصفة عامة لأهم مجالات الأنثروبولوجيا، والتي تدل في نظرهم على دراسة الإنسان من الناحيتين الجسمية والثقافية على حد سواء.

الأنثروبولوجيا الطبيعية هي التي تركز على التغيرات التي حصلت في جسم الإنسان لحد الآن، وتتعامل مع حاجات كبيرة التي تخص الإنسان المعاصر مثل **أنواع الأمراض** التي تصيب شعوب معينة، اكتشاف العلماء الظاهرة. **الأنثروبولوجيا اللغوية، الثقافية والاجتماعية** هي التي تركز على الحاجيات التي تتعلق بالإنسان مثل عادات الشعوب والأساليب والطرق التي يستخدمونها. نذكر هنا على سبيل المثال وباء أو مرض كورونا، نجد العديد من علماء الأنثروبولوجيا يشتغلون بدراسة هذه الظاهرة وتحليلها.

يصف **إدوارد ايفانز بريتشارد (1952–1973)** أحد رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية الأوائل، مهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية "بأنها تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة، والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها."(**فهيم، 1986، ص:16**) في هذا السياق أيضا نجد العديد من الدراسات الجديدة التي قام بها الأنثروبولوجيين حول ظاهرة كورونا وتداعياتها النفسية والاجتماعية وذلك ما سوف نتطرق إليه لاحقا.

2. جدل العزلة والاتصال (التمركز والانفتاح): مفهوم التواصل.

تعتبر إشكالية العلاقة بين **الأنا والآخر** من بين أهم الإشكاليات التي عالجها كل الفلاسفة الفردانيين والشخصانيين على حد سواء، وتعد من أهم القضايا الفلسفية التي لم تأخذ حقها من البحث حتى الآن، "فالإنسان يشعر بالعزلة والغربة حينما يكون بعيدا عن الآخرين، فيشعر أنه وحيد ومنبوذ من قبلهم فيشتد شوقه إلى الآخر، ويحاول الاتصال به عبر الصداقة أو الحب أو الزمالة أو العمل المشترك أو من خلال الارتباط مع الآخرين في الانتماء المشترك لإيديولوجية معينة أو لحزب واحد أو لهوية واحدة...الخ."(**الكحلاني، 2004، ص:378**)

الإنسان مدني بطبعه، وهو في "كل مجهوداته أفق في حياة غير متناهية غير محدودة أمام ذاته تعود إلى طبيعة المكان والزمان، والتي هي السبب الغير المحدود والتي تعد ذات لا متناهية مفتوحة من رجال أقرب، والذي يعيش معهم في المجتمع، فهو يعيش في وحدة غير متناهية مفتوحة من الحياة الاجتماعية."(**Husserl, 2005, P: 118**) يرغب الإنسان دائما في بناء علاقات اجتماعية وتبادل الآراء والاكتشاف لعوالم وثقافات مغاير، ولكن ما إن "ينخرط هذا الفرد مع الآخرين حتى يشعر **بعزلة قاتلة**، وبغربة أشد وطأة من الغربة الأولى، فيشعر بالعزلة حين يكون منفردا ويشعر بوطأتها أيضا حين يعيش مع الآخرين، وهكذا يعيش الإنسان في حالة من **التمزق النفسي بين الانفصال والاتصال**، بين التمرد والتوحد، ويظل الإنسان كحبل مشدود بين أناه وذاته وخصوصياته من جهة، وبين الذوات الأخرى."(**الكحلاني، 2004، ص:378**)

فالفرد له خصوصيات وله أهداف وغايات محددة، "ويتسم بالتفرد حين يعيش منفردا ويشعر بقيمته وحريته ويمتلك قوى وطاقات ولكن حين يود إخراجها إلى الواقع عليه أن يرتبط بالآخرين، ليظهر تفرده وطاقته تلك، غير أنه ما إن ينخرط في الآخرين حتى يضطر لارتداء قناع يحمي به ذاته من المجتمع، فيخفى معظم ما يتصف به من خصوصيات وأفكار ويلجأ لأن يسلك كما يريد الآخرون لا كما يريد هو، وهنا يفقد حريته وذاته ويتشكل وعي جديد حيت يجتمع الأفراد يسمى بالوعي الجمعي."(**الكحلاني، 2004، ص:378**) لكنه وعي زائف لأن الفرد في مثل هذه الحالات تذوب شخصيته في الجماعة ويغترب عن ذاتيته، فالأفراد في حالات كهذه يتخلون عن معظم أهدافهم وأفكارهم فتظهر أهداف جديدة وأفكار جديدة تمثل ما هو مشترك بين الأفراد.

يبين الفلاسفة الفردانيين طبيعة علاقة الفرد بالمجتمع وحللوا حتى الأعماق نفسية الفرد حين يعيش هذا **الصراع بين عزلته منفردا وعزلته متوحدا**، حيث يرى **كيركجارد** أن "الجمهور يفقد الفرد ذاته وتميزه، بينما **نيتشه** يمجد العزلة بأقوى العبارات حين قال "**سارع إلى عزلتك يا صديقي على أطراف العزلة تبدأ حدود الميادين**"، وكان يدعو الفرد إلى أن يحلق بعيدا عن ميدان الجماهير، ويرى أن العامة تكره المتفرد، لذلك فهو

يدعو إلى عزلة مؤقتة، تعمل الذات فيها على تجميع قواها. ويرى **هايدغر** أن الإنسان حين يذهب إلى الآخرين "خوفا من الموت، يطلب منهم الأمان، ولكن سرعان ما يفقد الفرد ذاته لأن المجتمع أو الناس أو أل "هم" يفرضون عليه نمطا من السلوك لا يرضاه، ورأى أن الإنسان الذي يعيش حياة السقوط تتسم حياته بالثرثرة والفضول والغموض."(**الكحلاني، 2004، ص:378**) وعليه نجد هايدغر يدعو الفرد إلى تجاوز هذا الوجود الزائف إلى الوجود الحقيقي، لتحقيق حريته.

إن تصور **سارتر** حول إشكالية علاقة الأنا مع الغير يفوق تحليل **نيتشه وهايدغر**، حيث يعلن أن **الجحيم هو الآخر**، "فحين أكون متوحدا في حديقة ما، في مكان ما، أشعر بوجودي، وبأن كل ما حولي هو ملك لي، كل الأشياء الموجودة تعد موضوعات تخصني أنا كذات حرة وفاعلة، وما إن يظهر الآخر حتى يسلب مني الأشياء فتتجه إليه وتتركني وحيدا، ولن يكتفي الآخر بأن يسلب مني الأشياء بل يسلبني ذاتي، فيحيلني إلى موضوع له، نعم فالآخر يسرق مني أشيائي وأصدقائي وأحبابي."(**الكحلاني، 2004، 379**) فالآخر حسب موقف سارتر يصدر أحكامه على الأنا، وهو الذي يقود الأنا حسب رغبته، فتصير هذه الأنا كما يريد الآخر، وتحاول الأنا التواصل مع الآخر لإرضائه من خلال الحب والصداقة.

هكذا ناقش الفردانيون فكرة العزلة، ولكنهم مع ذلك يؤكدون أن الأنا، تتواجد مع الآخر، هنا ظهرت الفلسفة الشخصانية محاولة تجاوز العزلة التي أتسمت بها الفلسفة الفردانية، وكان الفيلسوف الشخصاني الروسي **بردييف** واحدا من اللذين قاموا بتحليل فكرة العزلة تحليلا عميقا، وله كتاب بعنوان (العزلة والمجتمع)، فهو يرى أن "المجتمع يعد أكبر خطر يهدد الشخص الإنساني، وأكد في تعريفه للشخص، بأنه فرد ارتدى قناعا يحمي نفسه من روح المجتمع، وأن المجتمع يشكل عبودية جديدة، ويدعو إلى تحرر الفرد من عبوديته للمجتمع، ويرى أن الأنا لا تحقق ذاتها إلا بتحررها من القيود الاجتماعية."(**الكحلاني، 2004، ص:380**)

لكن **بردييف**، بالرغم من الموقف الأول الذي قدمه، فهو ليس ضد فكرة التواصل الاجتماعي بين الذوات، فهو لا يدعو إلى العزلة المطلقة، بل إلى "الاتصال بالآخرين، فيرى أن على الذات، لكي تخرج من عزلتها أن تلتقي بالآخرين، غير أنه يرفض الإتحاد بهم بل الاتصال عبر الحب، ولذا فإنه يضع حلا لمسألة العزلة

والتوحد بمفهوم الاتصال الروحي بين الذوات، هذا الاتصال لا يخضع الذات لغيرها، ولا يحولها إلى موضوع، فكل ذات تمارس حريتها ووعيها مع الآخرين دون أن تفقد استقلالها، فالأنا تبحث عن انعكاسها في الآخر، لتؤكد وجودها."(**الكحلاني، 2004، ص:380**)

3. التحليل الفلسفي حول نظرية التواصل

مهما كان الاختلاف والتباعد بين الأنا والآخر فيبقى التواصل ضرورة حيوية، إذ يرى **دومينيك وولتون** أن نتواصل يعني أن نقتسم ما يجمعنا، وأن نسير الاختلافات التي تفرقنا. يفهم على ضوء هذه العبارة أن التواصل هو العيش المشترك في ظل الفروق الفردية، تتلخص آفاق العلاقة الإنسانية في ضرورة بناء **مجتمع حواري** يوجهه مبدأ قبول الآخر المختلف.

يعرف **أونزيو ومارتان التواصل** بأنه "مجمل الميكانيزمات المادية والنفسية التي تستخدم في التواصل بين شخص أو عدة أشخاص (المرسل) وشخص أو عدة أشخاص (المستقبل) بغية الوصول إلى أهداف معينة."(**Anzieu, & j.y, 1986, P: 589**)

ويعرف **كوولي** التواصل هو "الميكانيزم الذي تتواجد بواسطته العلاقات الإنسانية وتتطور ويتضمن جميع رموز الفكر ووسائل ارسالها عن طريق مكان، وبتدعيم زمان، إنه يتضمن تعبيرات الوجه، والاتجاهات، والحركات، ونبرات الصوت والكلمات، والكتابات والمطبوعات، و، وسكك الحديد، والتلغراف والتلفون، وكل ما يسير نحو اتمام اكتشافات الفضاء والزمن."(**cooley, 1988, P: 33**)

إن الاختلاف بين الأنا والآخر كما هو بين الحضارات أمر طبيعي وشيء واقعي والسبيل الأمثل لتجاوز هذه الاختلافات هو البحث عن الحل أينما كان حيث يعتبر الحوار بين الأفراد عن طريق الفعل التواصلي هو الحل الأنسب لذلك كما هو بين الجماعات وكذا الحضارات والأمم والشعوب. "يتواصل الناس لأسباب عديدة ضمن ثلاث فئات غالبا ما تكون متداخلة ومتبدلة التراتبية تبعا للظروف، ولكنها جميعها، تدفعنا إلى إقامة اتصال بشخص ما، وهنا تظهر بداية **التقاسم**. إن كل فرد يسعى للتواصل من أجل التقاسم

والتبادل، إذ في الأمر هدف إنساني وعاطفي أساسي ولا مناص منه. فالعيش يعني التواصل والتبادل مع الآخر، وبأكثر الطرق أصالة في أغلب الأحيان. ويلي ذلك **الإغراء**، وهو هدف ملازم لكل العلاقات الإنسانية والاجتماعية. وأخيرا الإقناع المرتبط بشتى صنوف منطق المحاججة المستخدمة للتفسير والرد على الاعتراضات. إن مثال التواصل هو ذلك المرتبط بالتقاسم والعواطف والحب. تلك هي على كل، الحالة التي يخترق فيها التواصل الحاضر ويعود إلى الماضي ويتجه إلى المستقبل بكل احتمالاته."(**وولتون، 2012، ص:22،23**) التواجد الإنساني يفرض إقامة علاقات وتبادلات يؤطرها التواصل، هذا الأخير يقدم على أساس أنه فعل واع وإرادي يتوقف على رغبة الفرد في إيصال معلومات محددة إلى الآخر المتواجد في عزلته بالاتجاه المقابل.

4. تأشيرات وباء كورونا المستجد على التواصل (سؤال الأنا والآخر)

4. 1: تعريف وباء كورونا:

يواجه العالم اليوم أزمة صحية عميقة، بل يمكن القول أنها أزمة إنسانية عالمية تفضي إلى بؤس ومعاناة البشرية جمعاء، تسمى **بجائحة كورونا (مرض كورونا المستجد (covid-19)** ، حيث نتج عن هذا الوباء آثار وخيمة مما تسبب في إصابة الملايين ووفاة مئات الآلاف من الناس، جمعاء، وعليه كثّفت وضاعفت الدول من جهودها لمواجهة العواقب الوخيمة لوباء كورونا على قطاع الصحة والاقتصاد ومختلف مجالات الحياة الاجتماعية من خلال اتخاذ تدابير وقائية وعلاجية وتوعوية فورية وحاسمة للحد من انتشار المرض و إنقاذ شعوبها، خاصة الفئات الضعيفة منها.

انطلاقا من منظمة الصحة العالمية فإن فيروسات كورونا هي "سلالة واسعة من الفيروسات التي تسبب المرض للحيوان والإنسان ومن المعروف أن عددا من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد خطورة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة الحادة الوخيمة (سارس). ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخرا مرض كوفيد-19 الذي هو مرض

معدي يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا ولم يكن هناك علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في أواخر شهر ديسمبر من العام الماضي وقد تحول كوفيد-19 الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من دول العالم."(**مكرازي، 2020، ص: 24**) ونتيجة لاستمرار انتشار وباء كورونا أصبح الإنسان يعيش فترات صعبة، "وتزايد أعداد الإصابات والوفيات وإغلاق المدن وحتى الدول بأكملها واضطرار العديد من الأشخاص إلى العزلة الذاتية."(**مكرازي، 2020، ص: 24**) فمنذ إعلان منظمة الصحة العالمية وباء كورونا المستجد فيروس عالمي سارعت مختلف الدول لاتخاذ إجراءات غير مسبوقة حفاظا على صحة الإنسان.

4. 2: التداعيات الاجتماعية لوباء كورونا المستجد: الحجر الصحي المنزلي والعزلة الذاتية

يعتبر التباعد الاجتماعي حتى اليوم، هو الحل المناسب والملائم للخروج من الأزمة الصحية التي طالت جميع مجالات الحياة وكانت آثارها وخيمة، ويبدو حسب بعض الدراسات أن هذا الوباء المستجد أثر على الحياة الاجتماعية، وأحدث تفككا داخليا في نفسية الإنسان سواء مع ذاته وحتى مع غيره. لذلك قامت الجهات المعنية "بحظر التجول والتنقل والسفر، وإقفال المدارس والجامعات والأماكن العامة، وإغلاق أماكن العبادات والصلوات، وتعطيل الأنشطة الاقتصادية باستثناء الضروري منها فقط...إلخ"(**هروس، 2020، ص:06**) فكان لذلك تأثير كبير على التواصل، حيث الحضور في المناسبات كان ضئيل مثلا في الأعراس والجنائز، أما الزيارات فكانت شبه منعدمة. لقد فرضت حالة الخوف والهلع "ميكانيزمات دفاع بدائية، وهي الاختباء في الكهوف الإسمنتية داخل المجال الخاص، وبدأ المجال العمومي والحياة الاقتصادية يتعرضان لمخاطر الانهيار. وشرع **الحجر الصحي** في التأثير على الحياة المشتركة داخل مساكن ضيقة وواطئة وغير قادرة على تحمل الاحتكاك المباشر طيلة النهار والليل."(**هروس، 2020، ص:25**) وهذا ما أدى إن صح التعبير العودة إلى الحياة البدائية، حيث كان الإنسان "يختبئ في الكهوف ريثما تمر الجائحة، ولكنه على خلاف البدائي أصبح يتخوف بجدية من ضياع كل المجهودات التي بذلها لإنشاء حياة اقتصادية خارج الكهوف. وبما أن هذه الوضعية الجديدة يعيشها الإنسان كإنسان يفرض علينا المشاركة في إيجاد بدائل محلية في أفق الوصول إلى حلول

كونية. مادامت مخلفاته كارثية على مختلف الشعوب بنسب متفاوتة حسب درجة تأثر البنيات الاقتصادية. وإذا كان يكفي إنسان الغابة أن يختبئ في الكهوف لإنقاذ الحياة. فإن مشكلتنا نحن تتعلق أولا بإنقاذ الحياة. والأداة الوحيدة هي الحجر الصحي."(**هروس، 2020، ص:26**)

أصبح لزاما على الإنسان تطبيق الإجراء الوقائي (الحجر الصحي)، من خلال فصل ذاته عن الآخر والابتعاد عنه، لكي ينقذ نفسه وينقذ هذا الغير، نعيش اليوم تفككا فعليا بين واجب إنقاذ الحياة، حياتنا وحياة الآخرين. بحيث لم تعد "الإنسانية تلهث وراء أوهام "المواطنة العالمية" و "العولمة" و"الكونية"، وما تلا ذلك من دخول وهمي إلى يوتوبيا "عالم بلا حدود". فجائحة فيروس كورونا" لم تعف حيا من قبضتها، لكنها أحكمت إغلاق كل الحدود بين الدول والذوات، وكأنه دمار يقتنص المجتمعات والدول، ويقيم حواجز منيعة بينها."(**هروس، 2020، ص:151**) لقد أصبحت العزلة تمثل الإمكان لإنقاذ الأنا والآخر، بحيث "لا وجود اليوم إلا في قلب العزلة، وبين جدران صماء، غدا الاحتماء بها هو السبيل الوحيد إلى البقاء، فلنبق أولا، ثم لنفكر في الحياة."(**هروس، 2020، ص:152**)

يبقى الإنسان دائما اجتماعي لأن طبعه هكذا، لكن لا ننكر بأن الكوفيد 19 أثر على الفرد وعلى سلوكه الشخصي والاجتماعي، فالفرد بينه وبين نفسه أصبح لديه تخوف وتوتر دائمين أدى به ذلك إلى خلق تشويش بين الفرد وذاته إلى أن أصبح قليل الثقة بنفسه، هذه النقطة المهمة في حياتنا التي تنبعث منها مبادئ وسلوكيات أخرى، فنستطيع القول بأن فترة كورونا عرفت ما يسمى بالخوف من فقدان الحياة. لقد تحدث "**نيكولا برياثيف** عن حق الفرد المقدس في العزلة، وذلك سعيا منه للحفاظ على حياته الخاصة. بيد أنها عزلة لا يقصد بها الانقطاع التام والكلي عن المجتمع وعن الحياة العامة والمشتركة مع الآخرين، أو ما يسمى بالعزلة المطلقة، إنها محض **عزلة نسبية** لا يمكن تصورها إلا في قلب المجتمع بمعية الناس والذوات الأخرى، وفي إطار العلاقة مع الغير. إن **العزلة المطلقة** يقول **برديائيف** هي "**الجحيم و اللا وجود**"، لذلك حري بنا ألا نجعل من عزلتنا اليوم، التي توسلناها اتقاء لشر الجائحة المتربصة بنا."(**هروس، 2020، ص:153**)

صحيح أن العزلة هي جحيم لا يطاق، لكن الظروف الأليمة التي يعيشها العالم برمته تفرض ذلك. يمكن تسمية هذه العزلة بنوع من الحياة الجديدة، وذلك بتغير فكرتنا عن الأنا والآخر والعالم. لقد "عصف الفناء بحميمية العلاقات الإنسانية أيضا، فإذا كانت هذه الجائحة قد أعادت للأسرة دفأها، وصار البيت مسكنا للوجود بعد سنوات عجاف من العزلة في قلب الحياة المشتركة، فإنا وسعت الهوة بين "الأنا" و "الغير" البعيد والغريب. صار الآخرون جحيما كما وصفهم سارتر، ولم يعد وجودهم يهدد وجودي فقط، كنه بات خطرا يحذق بحياتي برمتها."(**هروس، 2020، ص:155**)

فترة الوباء المتفشي كوفيد 19 شهد الجميع ضغوطات نفسية واجتماعية جراء الخوف من العدوى والخوف من فقدان الأحبة والأصدقاء في الحياة، إن كثرة المخاوف من فقدان الأنا للآخر القريب منها أدت لهلاك الكثيرين وصولا للانتحار مثالا على ذلك أفراد من الجيش الأبيض (الأطباء، الممرضين، جميع موظفي قطاع الصحة)، الذين انتحروا خوفا على سلامة عائلاتهم من العدوى بالفيروس.

يقتضي "العيش المشترك" بين الأنا والغير في قلب هذه الجائحة أن تفكر الذوات في تدبيره بكيفية مختلفة عن التدبير المألوف، وأهم شرط هنا هو ما يسميه **ليفيناس بـ "المسافة"** لذلك فنحن أمام ضرورة وجودية تستدعي منا تجاوز تلك التصورات القائلة باستقبال الغير، الانفتاح عليه، التواصل معه، واستضافته...الخ، لأن من شأن تلك الأفعال أن تفنى الأنا والغير معا، ومن ثم لا غنى عن توسيع المسافة بينهما عوض طيها."(**هروس، 2020، ص: 162**)

يفرض وباء كورونا على كل واحد منا تطبيق التباعد ووضع مسافة الأمان، لكي يتم التقليل من انتشار العدوى، ومن ثم الموت، فمشكلة الإنسان اليوم هي الخوف على ذاته وعلى غيره، فالأنا اليوم أصبحت تفكر في إمكانية العيش فقط، ومن ثم التفكير في العيش مع الآخرين وإلا فإن الوضع سيؤول إلى الموت المشترك.

5. الانتقال من فضاء الأماكن إلى فضاء الشبكات الافتراضية في زمن كورونا

نعيش اليوم ثورة عارمة في جميع المجالات في ظل المجتمع الجديد الذي أطلقت عليه العديد من المسميات منها "**مجتمع الإعلام والمعلومات**"، "**المجتمع الرقمي**"، "**مجتمع النهايات**"، وكلها نابعة من خصوصياته ومكوناته المعتمدة أساسا على **التقانة** التي أثرت في حياة الناس وأصبحت من الأشياء الضرورية التي لا يتم الاستغناء عنها شأنها شأن الماء والهواء.

يعرف **راسل ماثيو** مواقع التواصل الاجتماعي بأنها "شبكة لمواقع تفاعلية تسهل وتربط الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف والأصدقاء، كما تمكن الأصدقاء القدامى من التواصل المرئي والصوتي مع بعضهم البعض وتبادل الصور وغيرها من الإمكانات التي توطد العلاقة الاجتماعية بينهم."(**العوفي، 2016، ص:25**)

نعيش في الكثير من ممارساتنا اليومية وفي ارتباطنا مع أفراد آخرين **علاقات افتراضية** من خلال الهاتف والفاكس والفايسبوك والإيميل والأنترنت إلخ. هناك مواقع اجتماعية متخصصة بمجالات محددة مثل: منتديات إعلامية أو ثقافية أو تربوية وغيرها تهم مجموعة محددة من الناس، كما توجد مواقع اجتماعية خاصة بالتجارة والتسوق، وهي أيضا تهم شريحة معينة من الناس يرتادونها ويتفاعلون معها، يضاف إلى ذلك نوع جديد من الشبكات الاجتماعية، التي يتواصل فيها مرتاديها من خلال الهواتف النقالة، وتكوين صداقات وإجراء محادثات ونقاشات وتبادل المعلومات عبر شاشات الهواتف النقالة."(**الكافي، 2016، ص:83**)

مواقع التواصل الاجتماعي تحولت إلى وسيلة لممارسة الوجود، لقد أضحت هذه الشبكات تنافس مؤسسات كالأسرة، المدرسة، كما أنها ساهمت في التقليص من الروابط التقليدية وخلقت نمط علائقي يعتمد على لوحات الحواسيب والهواتف، فأصبحت المعايدات والتهاني والمواساة مقتصرة في كلمات رنانة أو محادثات عبر الشاشات، وهنا لقت علاقات هشة تبنى عن طريق اتصال أو تهتز لعدم الاتصال أو الكتابة أو عدم متابعة البروفايل أو عدم التعليق. فمن خلال التقنية الرقمية ووسائل الإعلام الإلكترونية يستطيع الإنسان أن

يستقل عن الآخرين ويكون على ارتباط بهم بالجرعة التي يرغبها. أصبحت اليوم، شبكات التواصل الاجتماعي تشكل ضرورة حتمية خاصة في زمن كورونا المستجد-19.

فهي تنعكس ايجابا على الحياة الاجتماعية ودورها في المحافظة على علاقة الأنا بالآخر. فالكثير من الأشخاص الذين يعتقدون بأن شبكات التواصل الاجتماعي قامت بتفكيك وتشتيت أفراد الأسرة الواحدة وسجنتهم في عزلة وعالم افتراضي. مواقع التواصل الاجتماعي ضربت بالعادات والتقاليد عرض الحائط حين أصبحت وسائل المعايدة والتهنئة وتقديم العزاء بامتياز تقتصر فقط على هذه الوسائط التقنية. التواصل الافتراضي قتل اجتماعياتنا، وعقولنا، بدل أن تكون وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت وسائل التفاصل الاجتماعي.

هل يمكن انكار انهيار القيم الاجتماعية والعائلية بظهور مواقع التواصل الاجتماعي وصرنا نعيش الغربة الداخلية قبل أن نسعى إلى التواصل مع أشخاص في أماكن بعيدة عنا؟ هل حال البشرية قبل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أحسن أم مما هو عليه الآن؟

صحيح أنه يجب الاعتراف بأن مواقع التواصل الاجتماعي قامت بتحطيم العلاقات والروابط الاجتماعية، حيث أصبح القريب بعيدا والبعيد قريبا، لكن هذه المعادلة تغيرت في قلب الجائحة، هنا برزت أهمية وقيمة شبكات التواصل الاجتماعية ضمن الحفاظ على الفعل التواصلي. "انشغلت منصات التواصل الاجتماعي الكبرى في زمن كورونا بتسهيل التعامل بين الناس خلال فترات العزل الطويلة نسبيا عبر العالم. نشرت مجلة تايم الأمريكية دراسة لتوجهات سوشيال ميديا في الولايات المتحدة الأمريكية على منصتي **فيسبوك وتويتر** بوجه خاص إبان جائحة كورونا، باعتبارهما وسيطا حاسما في تداول المعلومات التي يحتاجها الناس في ظل العزلة الوقائية والعمل والدراسة من المنزل."(**ملهم، 2020، https://p.dw.com/p/3ay4F**)

كان لوباء كورونا دور كبير في التأثير على الفرد وعلاقته بالمجتمع، وبالأخص أيام الحجر المنزلي الصحي، حيث جعلت علاقات الفرد بغيره في تدهور ونقص التفاعل بين الذوات كثيرا بسبب الخوف من

الكوفيد-19، لكن من جانب المعلوماتية والإلكترونيات الحديثة لم تتوقف العلاقات الافتراضية بل كان هناك اقبال كبير على مواقع التواصل، لمحاولة نسيان والهروب من الواقع المعاش والتواصل عن بعد لتفادي التواصل المباشر والتقليل من انتشار الكوفيد-19.

عادة ماتتهم "التكنولوجيا بالإساءة إلى التآخي والتواصل المباشر بين الناس، إلا أنها قد تتمكن من تلميع صورتها بفضل فيروس كورونا والحجر الصحي، لما توفره من نشاطات واجتماعات وحتى العمل والدراسة عن بعد، وبفضل التطورات التكنولوجية، باتت إجراءات العزل، ولاسيما في المدن الكبيرة والأسر الميسورة أمرا سهلا ومريحا مع إمكانية العمل من المنزل والحصول على التشخيص الطبي عن بعد وممارسة الرياضة عبر التطبيقات ... ففي الصين وكوريا الجنوبية ودول أخرى، تشهد الخدمات المتوافرة عبر الحوسبة السحابية (كلاود) ارتفاعا صاروخيا."(م.أ.م/ ع.ج، **2020**، **https://p.dw.com/p/3Z3WV**)

خاتمة:

من البديهي والمعروف لدى الجميع أن الأنا لا يمكنها العيش منعزلة عن الآخر، فالإنسان مدني بطبعه لا يستطيع أن يتواجد بمفرده خارج الجماعة، بل هو في حاجة إليها على الدوام، لكن اليوم ومع تغير الظروف بسبب تفشي فيروس كورونا تغيرت هذه العلاقة التفاعلية القائمة بين الفرد والمجتمع، الفيروس الذي كان له تأثيرا قويا على جميع الأصعدة (النفسية والاجتماعية، الاقتصادية، التكنولوجية...). وحتى عملية التواصل تأثرت هي الأخرى بسبب كورونا، بحيث أصبحت العزلة هي البديل للاجتماع.

لقد تغير الوضع اليوم، ودخلنا وضعا غير مسبوق، بالرغم من أن الإنسانية قد عرفته من قبل واعتقدت أنها قد تجاوزته، ولكن نرى أننا اليوم نعود من جديد من موقع السيطرة على الطبيعة إلى موقع الدفاع عن الأنا عن طريق الهروب من الطبيعة.

بالرغم من أن الوضع الأمني في هذه الفترة فرض على الجميع التزامات صارمة من أجل الحفاظ على السلامة الصحية لكل واحد منا، فهاته الاخيرة كانت حتمية أكيدة في التباعد الاجتماعي وهذا ما شهدناه في

فترات الحجر الصحي، لكن بقي الاتصال والتواصل هو الآخر يفرض هيمنته في مواقع التواصل الاجتماعي مثلا، التواصل عبر الفيسبوك. وتبقى في الأخير الوقاية والتوعية والتحسيس هي الطرق الملائمة للحد من انتشار الوباء.

قائمة المصادر والمراجع:

1_ باللغة العربية:

_ العوفي، حمزة. (2016). **دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الثقافة السياسية لطالب الجزائري.** مذكرة ماجستير. جامعة الجزائر، الجزائر.

_ الكحلاني، حسن. (2004). **الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر**. القاهرة: مكتبة مدبولي.

_ الملائكة، ملهم. (2020). **مواقع التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين في عصر كورونا**. موقع: DW عربية. الرابط الإلكتروني: https://p.dw.com/p/3ay4F

_ فهيم، حسين. (1986). **قصة الأنثروبولوجيا**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون.

_ م.أ.م/ ع.ج. (2020)، **التكنولوجيا في زمن كورونا.. وسيلة لتخفيف وطأة الحجر الصحي**. موقع: DW عربية. الرابط الإلكتروني: https://p.dw.com/p/3Z3WV

_ مكرازي، عون. (2020). **هل أثرت جائحة كورونا على البيئة والأرض**. نشرية الألكسو العلمية. العدد الرابع. الرباط: جامعة محمد الخامس.

_ هروس، حفيظ. (2020). **الزمان الوبائي**. أكادير: مطبعة قرطبة.

_ وولتون، دومينيك. (2012). **الإعلام ليس تواصلا**. لبنان: دار الفارابي.

2_ باللغة الأجنبية:

_ Anzieu, d. e., & j.y. (1986). **la dynamique des groupes restrents**. paris: p.u.f.

_ Cooley, c. i. (1988). **les réseaux de communication**. paris: e.s.f.

_ Husserl, E. (2005). **sur le renouveau**;cinq article. paris: j.vrinn.